دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الساعات البرجية في بغداد: تراث عمراني أصيل
المصدر:	المورد
الناشر:	وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة
المؤلف الرئيسي:	العطار، أحمد هاشم
المجلد/العدد:	مج41, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	21 - 34
رقم MD:	975652
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	بغداد، الآثار، التراث المعماري، الساعات البرجية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/975652

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الساعات البرجية في بغداد

تراث عمراني أصيل

المورد
العدد
الثاني
لسنة
٢٠١٤

احمد هاشم العطار
الهيأة العامة للآثار والتراث/ العراق

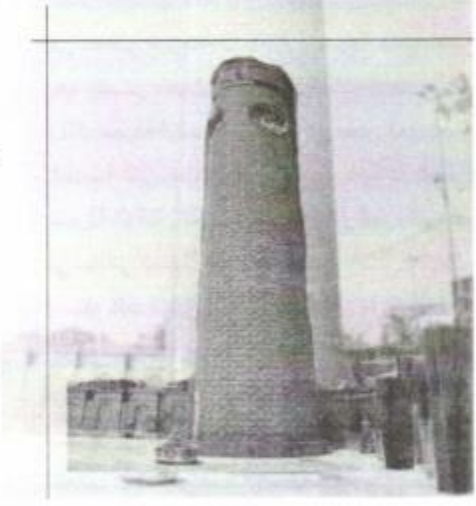

زخرت بغداد منذ تأسيسها بكل ما هو فريد، فاستحقت بجدارة لقب حاضرة الدنيا وسيدة البلاد وقد توافرت لبغداد إمكانيات مادية وبشرية أهلتها لتكون في المكانة التي وصلت إليها في عصرها الذهبي (العصر العباسي الأول) الا أن بغداد برغم ما أصابها من جراح بعد اجتياح المغول لها وما تلاه من تدهور لبناها المادية واضمحلال للحياة العامة و الثقافية فيها، برغم ذلك ظلت بغداد تزخر بالكثير من الشواخص العمارية والإبداعات العلمية التي برهنت على وراثة أبنائها حسب العلم والإبداع من آبائهم وأجدادهم.

لقد ظهرت في بغداد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظاهرة بناء أبراج [١] الساعات وقد بنيت تلك الأبراج في أماكن مهمة كأن تكون مؤسسات رسمية كما في برج الساعة في القشلة [٢] (ديوان الحكومة القديم) أو في الأضرحة [٣] الدينية كما في الروضة الكاظمية المطهرة والحضرة القادرية الشريفة وتلاها في القرن العشرين ساعة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان وساعة ضريح السيد إدريس في الكرادة وساعتا المحطة العالمية.

إن بناء هذه الأبراج في بغداد وفي ذلك الوقت وما بعده وبهذا العدد أكد أن لبغداد مكانة وحضورا وأهمية، ولهذا جاء بناء تلك الساعات في بغداد في مرحلة تعد من المراحل التي رزحت فيها بغداد تحت نير التسلط العثماني الذي لم يعر أهمية لتقدم البلاد ورقيها إلا ذلك النزر القليل من فتح بعض المدارس كمدرسة الصنائع والرشدية العسكرية ومن ثم في العقد الأول من القرن العشرين افتتحت مدرسة الحقوق إلا أن توجه السلطة العثمانية العام لم يكن مع الاستزادة من افتتاح دور العلم ومواكبة التطورات الحاصلة في العالم يوم ذاك ومع كل هذا فإن بغداد شهدت بناء أول برج للساعة في المنطقة ثم تلا ذلك بناء عدد من الأبراج. وتأتي أهمية دراسة هذه الأبراج كونها ظاهرة انتشرت في حقبة من حقب تاريخ العراق الحديث والمعاصر وكذلك فهي مظهر حضاري من مظاهر التقدم العمراني ناهيك عن فائدتها في معرفة الوقت في تلك المدة التي لم تتوفر بأيدي البغداديين ساعات اليد إضافة لكونها أنشئت في أبنية عامة أول مرة في البلدان العربية سواء كانت هذه الأبنية عسكرية كما في القشلة ثم تحولت بعد الحكم الوطني إلى مؤسسة مدنية أو في عمائر دينية لها مكانتها وقدسيتها لدى المسلمين كما في ساعتي الروضة الكاظمية أو ساعة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني أو ساعة جامع الإمام الأعظم وذلك لمعرفة أوقات الصلاة. أو في بعض المؤسسات الخدمية التي يتطلب العمل فيها وجود ساعة كبيرة لمعرفة الوقت بالنسبة للموظفين أو المواطنين كما في ساعتي المحطة العالمية ببغداد.

لقد كتب الكثير من الباحثين عن تاريخ إنشاء أبراج الساعة في بغداد وأصبح واضحا لنا تواريخها وتفصيلات أخرى متعلقة بإنشائها لكن لم يعن أحد بعمارتها وطرزها ولهذا آثرنا أن نكتب عن هذا الجانب المهم وبرغم قلة المصادر في هذا الجانب إلا أننا اعتمدنا على معلوماتنا ومشاهداتنا وخبرتنا التي أكتسبناها بعملنا في دائرة التراث العامة في الهيئة العامة للآثار والتراث.

لم يكن بناء الساعات غريبا عن المجتمع البغدادي فهذه ساعة المدرسة المستنصرية تشهد على ذلك لكن ما تعرضت له بغداد بعد الاحتلال المغولي لها عام ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م كان فاجعة أليمة وضربة

مميتة للحضارة والإبداع والتقدم الذي حملت بغداد لواءه طوال خمسة قرون، وما حل ببغداد وأهلها في أثناء الاحتلال وبعده صير بغداد مدينة منكوبة بكل الأوجه والمقاييس إذ لم يسلم في بغداد لا البشر ولا الحجر.

ونتيجة للاحتلالات المتعاقبة على هذه المدينة الباسلة التي كانت تقاوم بشراسة شارك أهل بغداد مع جند الخليفة بصد هجوم المغول عن مدينتهم [١]. إلا أن الاحتلال المغولي كان قاسيا لدرجة أنه أفقد بغداد كنوزها المعرفية والعمارية وخلف الجهل والفقر والتخلف ولم تدر عجلة الحياة العلمية في بغداد إلا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر زمن الوالي العثماني المصلح مدحت باشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢ م وبرغم هذا التقدم البسيط إلا أنه شكل البداية لعودة بغداد إلى حظيرة مدن الثقافة والعلم من جديد.

تاريخ إنشاء الساعات البرجية في بغداد :

أما عن تاريخ إنشاء أول ساعة برجية في بغداد فقد كانت ساعة القشلة التي قام مدحت باشا والي بغداد المصلح (١٨٦٩-١٨٧٢) بإكمال بنايتها(بناية القشلة) وقد بدأ بإنشائها الوالي نامق باشا سنة ١٨٦١ م وتعد قشلة بغداد من أهم العمائر العثمانية الباقية بأكملها في العراق وهي عبارة عن بناء يمتد على مساحة واسعة في الجانب الشرقي لنهر دجلة وهو جانب الرصافة وهي محاذية للنهر شكلت قشلة بغداد مستطيلا ناقص ضلع يبلغ طول أضلاعها الثلاثة ٢٥٠ × ٥٠ م ومن أبرز أقسام القشلة التي حافظت على أصالتها المعمارية والزخرفية باب السراي المعروفة بإيوان السراي والطاق وهي باب مبنية بالآجر بشكل برج طول ضلعه ٢١ م مكون من ثلاثة أقسام القسم الأمامي هو المدخل مسقف بعقد مدبب ارتفاعه ٩ م زخرف باطنه بأشكال هندسية وزهرية محفورة ومطعمة بأنصاف كرات نحاسية وهي ظاهرة زخرفية شاعت في عمائر العصر العثماني[٢]. ومن أبرز معالم قشلة بغداد برج ساعتها الذي كان أول برج ساعة ينشأ في بغداد وكان لموقعه المميز بالقرب من شاطئ دجلة في منتصف بناية ساحة القشلة أهمية كبير ذلك أن سكان جانب الكرخ وبخاصة محلتا الجعيفر والشواكة كان باستطاعتهم معرفة الوقت بالنظر إلى ساعة القشلة. أما ثاني أقدم ساعة في بغداد فقد كانت ساعة العتبة الكاظمية التي بنيت عام ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م [٣] ثم تلتها ساعة الحضرة القادرية التي بنيت عام ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م [٤] ومن بعد ذلك بنيت ساعتا المحطة العالمية ببغداد في العام ١٩٥٢ م [٥] وبعدها بنيت ساعة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان عام ١٩٥٨ م [٦]. أما برج ساعة مرقد السيد إدريس فهو لم يُبنَ مع المنشآت البنائية الأولى للمرقد وقد أتى بناؤه لاحقا

وقد سجل تاريخ ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٦ م على بدن الساعة ويمكن أن يكون هذا التاريخ هو تاريخ تجديد البناء وليس تاريخ البناء إذ أن بناء برج الساعة ربما قد حصل بتاريخ سابق في ثمانينيات أو سبعينيات القرن الماضي.

عمارة الساعات البرجية البغدادية:

تشكل العمارة عنصرا مهما من عناصر تكوين المدينة، وهي باعث مهم لفهم البيئة المحيطة بالمكان وأهواء السكان وشخصياتهم وأمزجتهم بل إن العمارة تذهب إلى مديات أبعد من ذلك بكثير فهي تشكل الهوية الذاتية الخاصة بالمدينة وشعبها بما تحويه من فنون وإبداعات ترسم بشكل واضح مفاهيم الذوق العام لدى الناس، وتعطي العمارة في كثير من الأحيان المكان هيبة ووقارا خاصة إذا ما كان البناء دينيا أو حكوميا، وكذلك فإن لبعض التصاميم العمارية أهميتها في الحياة اليومية فهي تشكل حلولا لمشكلات بيئية أو حياتية مختلفة.

وعلى الرغم من أن المعمار هو الحلقة الأساس في هذا الأمر إلا أن هناك حلقات أخرى مهمة منها المواد الأولية المتوافر في المحيط وطبيعة الأرض فكل هذه العناصر وغيرها تكون في النهاية الصورة التي يجب أن يكون عليها البناء فكلما كان المعمار واعيا ومدركا ومطلعا على المدارس الفنية المختلفة وعارفا بطبيعة عمله جاء البناء قويا وجميلا وكلما كانت مواد البناء جذابة وطيعة بيد المعمار ازداد البناء بهاءا وتناسقا وكلما تمتعت الأرض بميزات السعة والانبساط والتماسك كان البناء منفتحا ومتسيدا.

وما دام كلامنا على بغداد هذه المدينة العظيمة التي توافرت لها أمور لم تتوافر لغيرها من المدن فهي بالنسبة لموقعها متوسطة بين الجنوب والشمال أما بالنسبة لأرضها فهي أرض منبسطة تعطي حرية كافية للمعمار للعمل والإبداع وكان لتوافر مواد البناء الأولية أثره في بناء روائع عمارية عديدة كان أولها المدينة المدورة ثم تلتها مبان أخر إلا أنه و لسوء الحظ لم يبق منها سوى عدد محدود جدا كالمدرسة المستنصرية والقصر العباسي وباب الظفرية وبقايا أخرى قليلة منتشرة في أرجاء المدينة وبرغم ذلك فقد دلت تلك المباني القليلة على الحرفية ودقة الصنعة والأسلوب الجميل والفن الراقي التي تمتع بها المعمار البغدادي، وليس غريبا عليه ذلك فهو وارث تلك الحضارات العظيمة السومرية والاكدية والبابلية والآشورية والحضرية التي ابتدأ منها فن العمارة وتخطيط المدن.

لم تكن عمارة أبراج الساعة في بغداد لتبتعد عن أصولها فهي وإن كانت فكرة جديدة إلا أنها استقت عمارتها من ينبوع الفن الخالد لهذا البلد العريق في جميع عصوره الحضارية القديمة منها والإسلامية وكانت لعمارة أبراج الساعة في بغداد تجربة جديدة

خاضها المعمار البغدادي وأثبت أنه أهل وكفء في وقت لم يسبق لدول الشرق الأوسط أو للدول المجاورة للعراق خوض هذه التجربة بعد. لكن المدرسة البغدادية في العمارة كانت وما زالت أهلا لكل تجربة أو امتحان لأنها تخطت تلك العقبات منذ البدء. إن فلسفة العمارة إنما هي فلسفة وجود وفلسفة الوجود هنا تعني أن طرز العمارة تعد من الوثائق الأثرية والتاريخية المهمة في معرفة تاريخ المنطقة أو المدينة وصفة الأرض والإنسان وعقائده وأفكاره وطرق معالجته للتغيرات البيئية والمناخية، وفن العمارة علم قائم بذاته لما يحويه من علوم وتفرعات ولما له من أهمية في حياة الإنسان حتى بعد مماته.

كان للبغداديين باعهم الطويل في بناء المآذن الإسلامية وتكاد تكون المدرسة البغدادية في العمارة مدرسة فريدة وبخاصة في فن عمارة المآذن ومن الملاحظ على المآذن البغدادية أنها أسطوانية الشكل تستند على قاعدة مربعة الشكل ترتفع بضعة أمتار كأن تكون ثلاثة إلى أربعة أمتار حسب علو المأذنة أو ما يحلو للبغداديين تسميتها بالمنارة وفي الربع الأخير من المآذنة تبرز الشرفة [٥٠] التي كان المؤذن يرتقي إليها بسلم من داخل بدن المأذنة كي يؤذن للصلاة وفي نهاية المأذنة تمتد رقبة اسطوانية تعلوها قبة مدببة مضلعة أو مدببة مكسوة بالقاشاني ذي اللون الأخضر أو الأخضر المزرق ويمكن أن تكون للمأذنة شرفة واحدة أو شرفتان، هذا شرح مختصر لشكل المآذن البغدادية أما عن مواد البناء فقد استخدم البغداديون الآجر في بناء مآذنهم وبيوتهم وكل عمائرهم لأن مادة الطين التي يصنع منها الآجر كانت وما زالت متوافرة بشكل كبير في بغداد ومحيطها بل في كل أراضي السهل الرسوبي الذي يشمل وسط وجنوب العراق. كان هذا طراز المآذن البغدادية قاطبة حتى الآن، إلا أن هذا الطراز لا يتلاءم و طبيعة أبراج الساعات ذلك أن أبراج الساعات تحمل في ربعها الأخير الساعة وكانت الغاية من إنشائها معرفة الوقت والشكل الاسطواني الذي كانت عليه المآذن البغدادية لا يناسب أبراج الساعات المراد إنشاؤها ذلك أن الربع الأخير من برج المأذنة أسطواني الشكل لا يمكن أن تنصب فيه الساعة فكان لزاما على المعمار البغدادي أن يجد الحلول لهذا الامر ووجد حقا الحل باستخدام الشكل المربع ذي الإبعاد المتساوية لكن حتى في هذا الامر استطاع المعمار البغدادي أن يبتكر ما يحلو له من أشكال ولم يقف مكتوفا أمام إلزامه هذا فنجد أن الشكل المدور قد عاد إلى أبراج الساعة ولكن ليس بتدويرة كاملة إنما بشكل بيضي قليل التحدب على شكل قوسين متقابلين ينتهيان من الجانبين ببناء مستقيم وخير مثال على ذلك هو برج ساعة جامع الأمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في الاعظمية ببغداد وفي هذا المثال أثبت المعمار البغدادي أنه

أهل في كل وقت ولأي شيء يستجد في علم العمارة كذلك فإن المعمار البغدادي لم يهجر ما توارثه من فنون فحتى عندما أستخدم الشكل المربع في بناء أبراج الساعة استطاع أن يعود إلى استخدام الشكل الاسطواني في نهاية البرج تعلوه القبة المدببة وهذا الامر واضح في ساعتي الروضة الكاظمية الشريفة.

ولم تكن عمارة أبراج الساعة في بغداد متشابهة فكل برج يختلف عن الآخر برغم وجود بعض التقارب العماري بين البعض منها إلا أن هناك اختلافات جزئية بين بعضها فمن أبراج الساعة المتشابهة ساعتا قشلة بغداد وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وأيضا ساعتا الروضة الكاظمية وساعتا المحطة العالمية أما ساعة جامع الأمام الاعظم أبي حنيفة النعمان فلا يوجد برج ساعة شبيه لها في عمارتها على الإطلاق.

برج ساعة قشلة بغداد:

تطل ساعة قشلة بغداد على نهر دجلة مباشرة وهي كما ذكرنا أول ساعة بنيت في بغداد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتتميز ساعة القشلة بعدد من الخصائص العمارية من بينها ضخامتها ووجودها في مثل هذا المكان الذي يطل على جانب الكرخ وكذلك هي من المباني العالية القلائل في بغداد يوم ذاك وتطل على حديقة غناء تقع في محيطها من ثلاث جهات ويحدها نهر دجلة من جانبها الغربي. يرتفع برج ساعة القشلة ٢٣ م وينتصب على قاعدة

مستطيلة تبرز قمة القاعدة بشكل طبقات من الكوابيل المدرجة، ويبلغ عرض ضلع قاعدته ٤ م تقريبا ويبدأ بالصغر كلما ارتفع نحو الأعلى إلى أن يصل عرض ضلعها نحو ١ م، ويخلو برج الساعة الذي بني بالآجر من الزخارف والنقوش سوى بعض الدخلات والطلعات وعندما نبلغ ٣ م من ارتفاع البرج يطالعنا طنف يلتف حول اضلاع البرج الأربعة بعدها يرتفع البرج برشاقة أكثر إلى أن نصل إلى مكان الساعة وهو مربعه الشكل ذو أربع وجوه تعلوه قمة مكعبة في كل وجه منها نافذة يتوجها عقد نصف دائري [١١] وكل نافذة لها بابان من خشب وهذا الجزء من البرج مسقف بقمة على شكل هرم ناقص

نصبت في أعلاه علامة فلكية معدنية لمعرفة الاتجاهات الجغرافية والرياح [١٢].

إن عمارة برج ساعة القشلة الذي يعد أول برج ساعة في العراق ومنطقة الشرق الأوسط لم تبتعد عن الموروث العماري فعمارته مستوحاة بشكل أو بآخر من العمارة التقليدية العراقية فلو نظرنا إلى برج الساعة لرأينا فيه تأثيرات عمارية عراقية قديمة فهو أشبه ما يكون بالأبراج الدفاعية المربعة الشكل التي مازالت شامخة في مدينة بابل الأثرية ولو أمعنا النظر في مدخل باب البرج الذي يعلوه مثلث بنائي صغير شبيه بالمثلث الموجود في واجهة معبد مرن أحد أهم معابد مدينة الحضر شمال غرب العراق أما عن الطلعات والدخلات البنائية فآثار العراق الباقية وبخاصة الإسلامية منها تشهد أن المعمار تأثر بشكل كبير بالعمارة الإسلامية التي احتوت على مثل هذه الأعمال.

برجا ساعتي العتبة الكاظمية:

يقع برجا الساعة في الضلعين الجنوبي والشمالي للعتبة الكاظمية ويقعان في مكانين مختلفين من الضلعين فبرج ساعة الضلع الجنوبي يقع في مقدمة الضلع تقريبا أما برج ساعة الضلع الشمالي فيقع في مؤخرة الضلع تقريبا، ومن اللافت للنظر أن برجي ساعة الروضة الكاظمية عن منفصلين كأبراج الساعات الأخرى في بغداد فهما يرتفعان فوق سور العتبة بضلعيها الجنوبي والشمالي أي لا توجد فيهما قاعدة إنما قاعدتهما هي امتداد السور الذي يرتفع لطبقتين ويحتوي على غرف وحجرات، وتختلف عمارة برجي ساعة الروضة الكاظمية عبر الأبراج الأخرى كونهما مكسوتين بالقاشاني [١٣] بأكملهما وهذا لا يوجد في أي برج آخر من أبراج الساعة في بغداد فكلها مبنية بالآجر على طريقة الجف قديم. ويحتوي برج الساعة الشمالية على ثلاث شرفات أولية ووسطية وعلوية وهو أمر لا يوجد في أي برج ساعة آخر أما برج الساعة الجنوبية فيحتوي

على شرفتين فقط وسطية وعلوية، ويكاد يكون برج ساعة الضلع الشمالي مقسما على أربعة أقسام مرتبة فالقسم الأول هو أكبر الأقسام من حيث السعة في أبعاد أضلاعه يحتوي على ثلاثة عقود مدببة اثنان منها أصمان في الجهة الغربية والشرقية أما العقد الثالث الذي يطل على الجهة الشمالية فيحتوي على نافذة ذات عقد مدبب أيضا تقع في وسط العقد الأول وأصغر منه وهي مزدانة بزخارف هندسية مصنوعة من الخشب أما داخل العقود فقد تم تبييضه بمادة الجبس وهي ذات لون أبيض وتزدان أطراف العقود وأركان القسم الأول من برج الساعة بحلل بهية من القاشاني الملون المزخرف بزخارف نباتية رائعة أما نهاية القسم فهي عبارة عن شريط كتابي جميل بخط الثلث من القاشاني يلتف حول بدن البرج تعلوه الشرفة الأولى للبرج وهي مسيجة بسياج حديد. أما القسم الثاني من البرج الذي يبدأ بعد القسم الأول فهو امتداد له لكنه أصغر منه من حيث السعة وذلك لترك مجال للشرفة والقسم الثاني مكسو بكامله بالقاشاني المزين بزخارف نباتية جميلة وبألوان متعددة لكن اللون الأزرق كانت له السيادة المطلقة كون الفنان استخدمه أرضية ومن خلاله تمتد الزخارف والمعالجات الفنية الأخرى ويحتوي القسم الثاني في جميع أضلاعه على دخلة مستطيلة صماء تمتد تقريبا على طول القسم وتحتوي الدخلات على عقود مدببة صماء أيضا. ويعلو الدخلات الصماء شريط كتابي بخط الثلث يلتف حول بدن القسم الثاني من البرج وهذه الأشرطة تحتوي على آيات قرآنية كريمة يعلو الشريط الكتابي صفان من المقرنصات [١١] المكسوة بالقاشاني ليتكون بعدها طنف تعلوه شرفة شبيهة بالشرفة الأولى لكنها أصغر منها ويأتي بعد امتداد لبدن البرج وهو الجزء الثالث الذي يحتوي على الساعة الدقاقة ذات الأربعة وجوه والتي تتخذ شكلا دائريا ويعلو هذا الجزء من البرج صفان أيضا من المقرنصات البديعة يتلوها طنف ويعلو الطنف الشرفة الثالثة والأخيرة وينتهي البرج برقبة اسطوانية تحتوي على نوافذ ذات عقود نصف دائرية تعلوها قبة مدببة مفصصة مكسوة ببلاطات جميلة من القاشاني ذي اللون الأخضر المزرق، وبرج الساعة الآخر يحتوي على طراز البرج الأول نفسه.

برج ساعة الخضيرة القادرية:

تقف ساعة جامع سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني بشموخ في باحة الجامع الداخلية في الركن الشمالي من المصلى الصيفي الذي أزيل منذ وقت قريب مع الأسف أثناء تجديد وتوسعة الجامع في نهاية القرن العشرين، وتشبه ساعة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني إلى حد بعيد في طرازها العماري تصميم ساعة قشلة بغداد لكن هنالك اختلافات في بعض النواحي فهي برج مربع الشكل طول ضلعه أربعة أمتار مبني بالطابوق الفرشي فيه فتحات

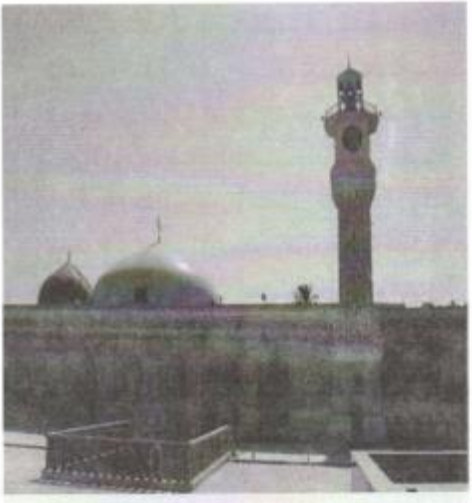

مستطيلة أشبه ما تكون بالمنافذ يعلوها قوس بنائي نصف دائري وبعد ارتفاع خمسة أمتار تطالعنا شرفة جميلة يحيط بها سياج من الحديد على الطراز البغدادي وبعد هذه الشرفة يبدأ بدن برج الساعة يصغر ليمتد بالارتفاع مسافة عشرة أمتار أو أكثر، ويكاد يشبه بدن برج ساعة القشلة تقريبا خاصة من ناحية الفتحات المستطيلة التي عملت على شكل علامة زائد وتقع هذه الفتحات في وسط البدن متعاقبة الواحدة تلو الأخرى ويبلغ عددها ثلاثا في كل ضلع ذات أربعه فتحات تستخدم للإنارة والتهوية ونشاهد في أركان البدن طلعة بسيطة فيها بعض الدخلات والطلعات أشبه ما يكون بالزخرفة البسيطة التي تشبه الإطار ويظهر في نهاية هذا البدن بروز نحو الخارج على شكل طنف وكوابيل متدرجة وهو شبيه جدا بكوابيل وطنف برج ساعة القشلة و يرتفع نحو متر ومن ثم يبدأ بالتقرب على شكل مائل ليرتفع مرة أخرى ليشكل تماما بدن البرج تبلغ أبعاده مترين ارتفاعا في متر ونصف عرضا ويحتوي هذا الجزء على الساعة التي تأخذ شكل الدائرة وهي ذات أربعة وجوه، وفي نهاية بدن الساعة تطل علينا شرفة مضلعة (مثمنة) الشكل من الخشب مسورة بسياج من الحديد تعلوها ظله جميلة من الخشب تعلوها قبة خشب مسطحة . يبلغ ارتفاع برج ساعة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ٢٣ م تقريبا أما عرض قاعدته فيبلغ حوالي ٣،٥ م أما بدنه فيما يلي الشرفة الأولى فيبلغ طول ضلعه٢،٥ م ونلاحظ طلاء أجزاء من الساعة باللون الأبيض وهو أمر زادها رونقا وبهاء خاصة أجزاءها العلوية وجزء من شرفتها الوسطى وهو ما يتلاءم وينسجم مع قبة الحضرة البيضاء الكبيرة، والجميل في الامر أن غرفة قاعدة البرج كان يربى فيها وما زال أنواع من الحمام.

برجا ساعتي المحطة العالمية:

تعد واجهة المحطة العالمية التي تقع في كرخ بغداد من العمائر البديعة جدا تحتوي في وسطها على قبة كبيرة نصف كروية وعلى جانبي القبة برجان لساعتين إحداهما للتوقيت المحلي والثانية للتوقيت العالمي ومن ثم يمتد البناء على جانبي البرجين ويعلو ثلاث طبقات هي عبارة عن غرف للعاملين في

دائرة سكك حديد العراق . تعود إلى عمارة برجي الساعة وكما قلنا من قبل فإن مادة بناء برجي المحطة العالمية هي مادة بناء المحطة وهو الطابوق أو الآجر . إن عمارة برجي الساعة متماثلة ومتطابقة ومتناظرة وهي عبارة عن برج مربع الشكل لكنه يصغر كلما اتجهنا نحو الأعلى وفي برجي الساعة عند القاعدة نافذتان مستطيلتا الشكل ثم إن هنالك امتدادا صغيرا بارزا عند يمين وشمال كل برج يعلو معه إلى أن يصل في النهاية إلى شرفة جانبية في جانبي كل برج مسقوفة بسقف كونكريتي مسلح يدعمه عمودا حديد ويجانب هذا الامتداد طلعة صغيرة تمتد أيضا مع الامتداد إلى بداية الشرفات الجانبية وتظهر تحت الساعة طلعة كونكريتية مربعة الشكل تستخدم لوضع المصباح الذي ينير الساعة ليلا أما الساعة فوضعها يختلف عن ساعات الأبراج البغدادية الأخرى فهي أشبه ما تكون ملصقة بجدار البرج وهي دائرية الشكل لا توجد فيها أرقام بل خطوط كبيرة وصغيرة الكبيرة تدل على الساعة السادسة والثانية عشر والثالثة والتاسعة وباقي الخطوط تدل على الأرقام الأخرى وفيها أميال ذات رأس يشبه السهم وفي أعلى البرجين بناء محزز أو أشبه ما يكون بالتاج على شكل طبقتين الواحدة اصغر من الأخرى وهو بمثابة قبة للساعة لكنه طراز جديد لم يعهد في ابراج ساعات بغدادية أخرى، إن شكل البرجين أشبه ما يكون هرميا إذ أنهما يبدآن بالصغر كلما اتجهنا نحو الأعلى. يبلغ ارتفاع البرجين ٢٥ م تقريبا أما طول ضلع القاعدة فيبلغ أربعة أمتار عند البداية ويصغر إلى أن يصل في قمة البرج ١،٥ م في الواجهة.

برج ساعة جامع الإمام الأعظم:

يعد جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (رح) من أكبر مساجد بغداد الجامعة، أما برج ساعته الذي ينتصب في مقدمة الجامع فعمارته لا مثيل لها في كل أنحاء العراق وليس في بغداد وحدها فهي أولا تقع في مقدمة الجامع على يمين الباب الرئيس في ركن الجامع الشمالي وهي مقابل شارع الأمام الأعظم الذي ينتهي بالتقائه بجسر الأئمة الذي يربط الاعظمية بالكاظمية وموقعها هذا سهل معرفة الوقت بالنسبة للناظر من

شكل برج الساعة ليس بجديد على العمارة البغدادية فهو أقرب إلى المآذن البغدادية التي تكون عادة أسطوانية الشكل تستند الى قاعدة مربعة لكن برج ساعة الاعظمية يختلف عن مآذن بغداد ببعض الأمور وذلك لخصوصيته كبرج ساعة وليس كمأذنه، فالأمر الأول أن برج ساعة الاعظمية ليس أسطوانيا بشكل كامل وليس بيضيا أيضا فهو يجمع بين هذا وذاك إذ أن فيه تقوسا أخف من استدارة الدائرة من جانبيه الشمالي والجنوبي ينتهي باعتدال في جانبيه الشرقي والغربي، والأمر الثاني هو أنه لا يحتوي على قاعدة كالمآذن البغدادية فالجسم شبه الاسطواني أو شبه البيضي يمتد من البداية (القاعدة) حتى النهاية، وبرج ساعة الاعظمية لا يحتوي على شرفات كما نجدها في المآذن البغدادية وأغلب مآذن العالم الإسلامي، حتى في أغلب أبراج الساعة في بغداد والأمر الرابع أن البرج ينتهي بنهايته الطبيعية أي لا وجود لأي تقبيب أو شيء من هذا القبيل عكس المآذن حتى عكس أبراج الساعات البغدادية الأخرى، إنه تصميم عماري مختلف وجديد لا يكاد يشبه أيا من التصاميم العمارية المتعارف عليها في العمارة العربية الإسلامية والأمر الذي يلفت الانتباه أيضا أنه مكسو بأكمله من البداية حتى النهاية بنوع معين من الزخارف الهندسية المنقوشة على الآجر المنجور وهو قطع من الآجر تسمى محليا بالفرشي مربعة الشكل تتراوح أبعادها وفقا لمعامل إنتاج هذا النوع من الآجر فمنها بسمك ٥ سم وبطول ضلع ٢٠ سم × ٢٠ سم وأخرى بسمك ٥ سم وبطول ٢٥ × ٢٥ سم وثالثة بسمك ٧سم وبطول ضلع ٣٠ سم × ٣٠ سم وقد كانت هذه التكسية الأخيرة لبرج ساعة الاعظمية أما في السابق فقد كان مكسوا بألواح رقيقة من الألمنيوم ذي اللون الذهبي وفي جانب الضلعين القائمين كانا مكسوين بالسيراميك الأخضر المزرق ويبلغ ارتفاع برج الساعة ٢٣ م تقريبا .

برج ساعة ضريح السيد إدريس :

يقوم برج ساعة مرقد السيد إدريس في منطقة الكرادة ببغداد فوق باب المرقد الرئيس وهو حسب اعتقادنا موقع مثالي من ناحية الفائدة التي تم إنشاء

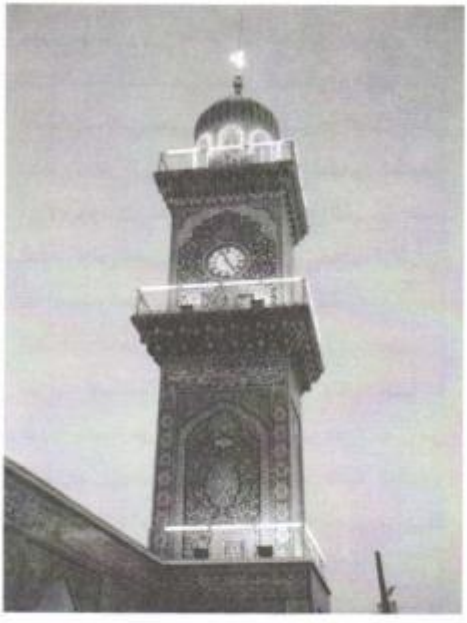

البرج من أجلها، يرتفع برج ساعة المرقد حوالي ١٨ مترا إذ ما حسبنا ارتفاع البـاب التي يعلوها أما إذا ما حسبنا بدن البرج فقط فيبلغ ارتفاعه تقريبـا ١٢ مترا، وبدن برج ساعة المرقد مربـع الشـكل يتشابـه في عمارته وبرجي ساعة العتبة الكاظمية من حيث الطراز لكنه يختلف عنهما ببـعض التفاصيل العمارية، يرتفع البرج من نهاية الباب بحـدود خمسـة أمتار وينتهي بطنف ثم يلي الطنف امتداد لبدن البرج المربع يحتوي هذا الجزء من البدن على الساعة وهي مربعة الشـكل ذات أربـعة وجوه وهذا الامتداد هو أصغر حـجما من البدن الذي في أسفله ويرتفع هذا الجزء نحـو مترين يعلوه طنف ثان وهو أصغر حـجما من الطنف الأول وفي نهاية الطنف تبرز لنا رقبة البرج الاسـطوانية التي تحتوي على شبابيك ذات عقود مدببـة وتنتهي بقبة مدببة مكسوة بطبقة من النحاس الأصفر ويبرز في أعلى عنق البرج تحت القبة شـريط كتابـي من القاشاني يحتوي على آيات قرآنية وكذلك الحال في الطنفين الأول والثاني، وبدن البرج مكسو بـالكامل بحلة جميلة من القاشاني الملون بألوان متعددة منها الأزرق الفاتح والأزرق الغامق والأبـيض والأصفر وقد كتب فيها عبارات مثل(الله لطيف بعبـاده) ويا ساتر ويا قادر ويا عظيم ويا كريم.

ويبلغ طول ضلع بدن بـرج السـاعة ٢,٥ م في الجزء الأول منه أما في الجزء الثاني منه فيبلغ طول الضلع ١,٥ م ويبرز الطنف عن بدن البرج بحـدود ٥٠ سم تقريبا مع انحناءة نحو الداخل أشبه ما تكون بالحنية والزخارف المنقوشة على القاشاني قوامها زخارف نباتية سيقان وورود وتفرعاتهما. وعادة ما تكون متناظرة في الضلع الواحد. و سـاعة البـرج مستطيلة الشكل وهي ذات أربعة وجوه.

إن عمارة أبـراج السـاعة جانب من جوانب الموروث العماري البغدادي إلا أن أبـراج السـاعة كانت لها خصوصية عمارية تختلف عن غيرها مهما قرب الشبه بينهما. إن الوقـوف على هذه التجربـة لهو أمر مهم في فهم بعض الأسـاليب العمارية التي ابتكرها المعمار البغدادي في هذه الجانب وقد حاولنا

جاهدين إيصال الفكرة للقـــارئ المتخصص وغير المتخصص على حـد ســـواء، وأخيرا فإننا خرجنا بنتائج ربما ســتكون مرضية لولوج فكرة التوظيف العماري إن صح التعبير ذلك أن فلسفة العمارة حسب اعتقـادنا البسـيط تقـوم على عمودين مهمين هما الوظيفة والجمال، ونعتقد أن المعمار البـغدادي كان موفقا في تضمين عمارة أبراج الســاعة على هذين العنصرين أو الهدفين، من خلال ما أنتجه من أشكال مختلفة لعمارة الساعات البرجية. وقد كان للبـيئة البـــغدادية دورها الذي لا يمكن إغفاله في تمكين المعمار من الخروج بهذه النماذج التي نشـاهدها اليوم باختلاف أشكالها فكانت البيئة عاملا مساعدا في هذا الامر من خلال أمرين مهمين همـا مـواد البناء والبساط الأرض.

الهوامش

(١) برج وأبراج وأبـرجة :بناء مرتفع ينتمي إلى المصطلح العماري العسكري ويشكل عنصرا دفاعيا ملحقا بسور المدينة أو القلعة او اية عمارة عظيمة يتكون عليه أو يحتل اركانه او جانبي الأبـواب أو يعلو المدخل ويبـنى عادة في أعلى مراكز البناء ويبرز عنه ويأخذ شكلا مستطيلا أو اسطوانيا أو نصف دائري أو مضلعا أو هرميا.

(٢) القشلة : لفظة تركية مأخوذة من الفعل قاشلاغ بمعنى شتا أو (الشتى) وصارت لفظة القشلة فيما بـعد اصطلاحـا يطلق على ثكنة الجند أي وقت تعسـكرهم وإقـامتهم وعدم خروجهم للحرب في فصل الشتاء.

(٣) ضريح أو أضرحـة : تعني مدفن سـلطان أو امير أو رجل صالح أو أي إنسـان آخر له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه وتعلو بـناء الضريح عادة قبـة تختلف عن قبـاب الأبـنية الدينية الأخرى.

(٤) موسوعة المقاومة البغدادية، نخبة من الباحثين، الجزء الأول، بـغداد، منشـورات بـيت الحكمة، مطبـعة الرشـاد، ٢٠٠٣، ص ١٩١ وما بعدها.

(٥) طارق جواد الجنابي، العمارة العراقية، حضارة العراق، الجزء العاشـر، دار الحرية للطبـاعة، بـغداد، ١٩٨٥، ص ٣٦٣.

(٦) محمد حسين ال ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٧، ص١١٨.

(٧) رجاء حسين الخطاب، عبد الرحمن النقـيب (حـياته الخاصة وآراؤه السياسية)، الدار العربـية للطبـاعة، بـغداد، ١٩٨٤، ص٩.

(٨) السكك العراقية بين الأمس واليوم، المنشأة العامة لسكك الحديد العراقية، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٩٠، ص٢١.

(٩) هاشم الأعظمي، تاريخ جامع الإمام الأعظم، الجزء الأول، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٤، ص ٤٨.

(١٠) شرفة: من العناصر العمارية الدفاعية في المدن والقلاع والأبراج وهي حجارة تبنى متقابلة في أعلى السور أو حوله وتؤكد الأدلة التاريخية أنها عراقية الأصل. عن حميد الدراجي، المصطلحات العمارية والفنية.

(١١) عقد نصف دائري: أي الذي يبلغ اتساعه اتساع قطر الدائرة. عن معجم المصطلحات الأثرية، لمحمد كمال صدقي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ص ١٧٦.

(١٢) شريف يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥٧٤.

(١٣) القاشاني: وهو البلاط أو الآجر المزجج استخدم لتكسية الحيطان والعقود والقباب والمآذن ويعد من مميزات العمارة الإسلامية وقد تميز العراق بأنه مدرسة هذا الفن ولهذا يطلق على القاشاني أيضا مصطلح الكاشي الكربلائي.

(١٤) المقرنصات أو الدلايات: هي حليات عمارية تشبه خلايا النحل ترى في العمارات العربية الإسلامية مدلاة في طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض وتستعمل للزخرفة العمارية أو للتدرج من شكل لآخر (أي للانتقال).